

اتفاقات البحر المتوسط (فبراير - ديسمبر ١٨٨٧)

للدكتور حسن محمد صبحي

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

يمتاز الربع الأخير من القرن التاسع عشر بمحاولة بريطانيا لانتهاء عزلتها ، وذلك حينما بدأوا يشكون في إنجلترا - في اثمانيات والتسعينات - في جدوى سياسة العزلة هذه . فالتوسع الاستعماري في افريقية وفي الشرق الأقصى قد أدى إلى نزاع مع فرنسا وألمانيا والروسيا . وهذا أوضح لانجلترا انها لم تعد تتمتع باحتكار في ميدان التوسع الاستعماري . والتعاون الفرنسي الألماني في عامي ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ قد ساعد هاتين الدولتين على ارساء قواعد لامبراطوريات افريقية دون أن يسألا إنجلترا موافقة على ذلك . كذلك كانوا يحشون في إنجلترا أن يتوصل منافسوها إلى انتهاء خلافاتهم وتكوين كتل في التجارة الأوروبية . وإذا تمكن منافسوها من عزلكم فقد يتمكنون حينئذ من الضغط عليها في جنوب افريقية ومصر ومضايقتها هناك (١) .

وفي نهار هذا الاتجاه الجديد لبريطانيا تجيء هذه الاتفاقات المعروفة باسم اتفاقات البحر المتوسط (١٨٨٧) . ولكن هذه الاتفاقات لم تكن وليدة الرغبة الإنجليزية الجديدة فقط ؛ بل جاءت أيضاً نتيجة لأحداث الفترة ، ومطامع ايطاليا في شمال افريقية ومخاوفها ازاء فرنسا في نفس الوقت . ومخاوف انمسا من أن تتورط وحدها في حرب ضد فرنسا بسبب ايطاليا . وفوق كل شيء ، جاءت هذه الاتفاقات نتيجة أيضاً لمباركة بسمرك لكل هذه الاتجاهات ...

1. Bruce, The Shaping Of The Modern World 1870—1939. Vol. I, p. 886.

ففيما يتعلق ببريطانيا نجد أن أولى مشاكلها — بالنسبة للسياسة الخارجية — كانت تكمن حينئذ في البحر المتوسط . هكذا كان الحال حينما تولى سولسبرى رئاسة الوزارة البريطانية في أغسطس ١٨٨٦ . في ذلك الوقت كانت تواجه بريطانيا مشكلتان رئيسيتان : الأزمة البلغارية ، والمسألة المصرية . ففيما يتعلق بالمشكلة الأولى قامت حركة في بلغاريا في سبتمبر ١٨٨٥ لضم روميليا الشرقية إلى بلغاريا . وبذلك فاجأت بلغاريا العالم بالأمر الواقع ، وضربت بقرارات برلين (١٨٧٨) عرض الحائط ، وبينت زيف الادعاء بأنها مجرد تابعة للروسيا (١) . ومن المعروف ان لورد بيكونزفيلد Beaconsfield قد فرض فصل الولايتين ، ضد رغبة روسيا ، عام ١٨٧٨ . ولكن روسيا صارت تعارض الآن الوحدة بنفس اصرارها السابق على نفس الوحدة ، فالحزب المسيطر في بلغاريا ذو ميول معارضة للاتجاه الروسى . وقد كان سولسبرى — أول الأمر — يميل إلى أن يلتزم بسياسة لورد بيكونزفيلد . ولكن الملكة فيكتوريا ، وسير ويليام هوايت William White السفير الانجليزى في القسطنطينية — قد اقناعه بأن يتبع في هذه المسألة سياسة مغايرة لسياسة بيكونزفيلد . وفي تلك السياسة تبعت النمسا والمجر انجلترا . وهكذا كان على بريطانيا أن تعمل على تعضيد استقلال بلغاريا ابعاداً لتنفيذ الروسى عن القسطنطينية (٢) .

وقد كان هناك البعض — مثل لورد راندولف تشرشل وسير روبرت موريه Robert Morier — يشتر بريطانيا في بطرسبرج — ممن كانوا يرون ان تكثف بريطانيا عن الوقوف في وجه روسيا وأن تصل إلى اتفاق مع القيصر الروسى ، الذى سوف يقابل بمعاملة بريطانيا له في الشرق الأدنى بأن يكف عن تهديده لأواسط آسيا . ولكن سولسبرى كانت له وجهة نظر مغايرة . فهو إذا نشر قدما إلى السلام اعتبر روسيا وفرنسا دولتين

1. Lowe, Salisbury and The Mediterranean 1886-1896. pp. 2 — 3.

2. Ensor, England 1870-1914: p.195.

ذات ميول عدوانية (١) . فمذ عام ١٨٧٩ تتبع فرنسا سياسة عنيفة في توسعاتها فيما وراء البحار . ومنذ عام ١٨٨٢ وهي تشهر السكين في كل مكان في وجه بريطانيا وتقيم العتبات القوية في وجه السياسة الاستعمارية الإنجليزية ، وفي سبيل ذلك تلجأ راضية إلى ألمانيا ، عدوتها التقليدية . تشرها ضد إنجلترا وترسم لها سوء نواياها (٢) . وإنجلترا كانت تخشى التوسع الفرنسي في شمال افريقية ، ورجال بحريتها كانوا يخشون من اتخاذ فرنسا قاعدة بحرية في سبته بالمغرب (٣) . ولا شك ان السياسة الخارجية للدولة تتأثر عادة بأراء خبرائها العسكريين (٤) . وفي خلال أعوام ١٨٨٧ - ١٨٨٩ تناب فرنسا حمى الوطنية المزعجة التي اثارها الجنرال بولانجيه Boulanger . وبشكل عام أصبحت العلاقة بين فرنسا وإنجلترا ، كما قال روزبري (٥) في عام ١٨٨٦ . تسبب كثيراً من المضايقة للإنجليز . ففرنسا تطلب من إنجلترا شيئاً ما لا تستطيع اعطائه لها ابدأ ثم تشكو قائلة «انكم لا تعدلون شيئاً مطلقاً من أجلنا» (٦) . وبالنسبة لسولسبري : فان فرنسا - كما يقول سولسبري في فبراير ١٨٨٧ - ترتكب طائفة من «المزعجات» . ففي مراكش مثلاً «تسير فرنسا في طريق ابتلاع البلاد قطعة قطعة وتتطلع إلى احتلال طنجة» (٧) . ويبلغ الضيق بسولسبري أشده حتى يذكر أنه من الصعب على المرء أن يمنع نفسه من أن يتخنى حرباً فرنسية المانية أخرى لتضع حداً لهذا الجور المستمر (٨) .

Ensor, England. p. 197. (١)

(٢) صفوت : الاحتلال الإنجليزي لمصر. ص ٧٦/٧٧ .

(٣) Marder, A., British Naval Policy, p. 271.

(٤) أنظر أيضاً : حسن صبحي ، «التنافس الاستعماري الأوربي في المغرب ص ٦٧-٦٩ ،

ص ٧٧ .

(٥) وزير خارجية إنجلترا (١٨٨٦) .

(٦) روزبري ال السفير الإنجليزي في باريس - ١٠ أغسطس ١٨٨٦ - أنظر :

Wilson, Beckles, L'Ambassade d'Angleterre A Paris, p. 229.

(٧) أنظر سولسبري ال فيونز (السفير الإنجليزي في باريس) ٥ فبراير ١٨٨٧ .

المرجع السابق ص ٢٢٧ .

(٨) صبحي ، ص ٦٨

أ. أطباع روسيا فقد ظهرت في بنجه Pendjeh في أوائل عام ١٨٨٥ حينما هاجمت قوة روسية أخرى أفغانية وهزمتها هناك في ٣٠ مارس ١٨٨٥ وهذه منطقة خصبة على الحدود الأفغانية - التركمانية . وكان ذلك الحدث منبهاً قوياً للخطر الذي يهدد إنجلترا في الهند من الناحية الشمالية الغربية . حينئذ بدت الدولتان - لبضعة أسابيع - على شفا الحرب . كذلك في أواخر العام تظهر أطباع روسيا القلقة حينما هددت صوفيا .

هذه كانت من الدواعي التي أدت بالبريطانيين إلى الاتجاه إلى دول الحلف الثلاثي ، ولا سيما وان إنجلترا قد باتت مهددة بأن تقف وحدها في المسألة المصرية . وهذه - أي المسألة المصرية - كانت المشكلة الثانية التي تجابه بريطانيا حينئذ في البحر المتوسط . فكان على بريطانيا أن تجابه مشكلة مباشرتها للأمر المصرية مع التخاضع من العداء الفرنسي لها هناك . وتتجنب - في نفس الوقت - اتجاهات بسمرك التي تميل إلى مناقشة حق الانجليز في مصر إذا ما ناقشوا حق ألمانيا في الاستعمار (١) .

ومن المعروف ان سولسبري كان له رأيه الخاص في الدولة العثمانية ومصرها . فهو كان يبدو عديم الثقة بها . ميالاً إلى تقسيمها ولا يرى هناك داعياً لبقائها . وهو لذلك يهتم بالمحافظة على المصالح الانجليزية لا لحماية تركيا من الخطر الروسي . (٢) وقد وضع اتجاه سولسبري هذا تماماً حينما زاد تعقد المسألة الشرقية في السبعينات وحينما خلف سولسبري داربي في وزارة الخارجية البريطانية (مارس ١٨٧٨) ، فحينئذ بدا أن سياسة سولسبري بخصوص الدولة العثمانية كانت أبعد ما تكون عن تأييد تلك الدولة أو المحافظة عليها . وكان ذلك انمكاساً لشكك فيما إذا كانت تركيا حقيقة جذيرة بالدعم من جانب بريطانيا (٣) . صحيح انه لم يفقد حينئذ الأمل نهائياً

(١) Lowe, pp. 2-3.

أنظر كذلك : صفوت : الإحتلال الإنجليزي لمصر . ص ١٤٢ .

(٢) صفوت : نفس المرجع . ص ١٢٨-١٢٩

(٣) Ensor, p. 197

في اصلاح الأحوال في تركيا ، ولكنه كان يرى ان الامبراطورية العثمانية قد دب فيها الفساد والعفن إلى حد كبير ، وانها تسير حتما إلى النهاية . وكان يعتقد بجدوى تأجيل سقوط الامبراطورية العثمانية - بالنسبة لانجلترا - حتى قيام الثورة في روسيا . وانه من مصلحة انجلترا تأجيل حدوث هذه الكارثة . (١) أما السياسة العملية في نظره فهي الاشراف الفعلي على طرق المواصلات المائية إلى الهند . وذلك باحتلال مصر وقناة السويس وكريت والعمل على القضاء على الدولة العثمانية (٢) .

واستولت بريطانيا على قبرص (١٨٧٨) . ومصر (١٨٨٢) ، واطمأنت على مركزها في شرقي البحر المتوسط وعلى طرق مواصلاتها البحرية إلى الهند . ومع ذلك فقد بقيت العقبة الفرنسية في مصر من ناحية ، كما استمر الازعاج الروسي أو النمساوي بينقن من ناحية أخرى .

حينئذ رأى سولسبرى - وفيما يتعلق بالبحر المتوسط ، وكما قال هو هو نفسه في عام ١٨٨٧ - انه لا خير لانجلترا في أي تغيير ، وان من مصلحة انجلترا الا يحدث من التغيير الا أقله (٣) . ورأى سولسبرى أن تتبع حكومته - في الأمور الداخلية كما في الخارجية - السياسة التقليدية ، ودبلوماسية الصبر والاناة بالنسبة لكلي المشكلتين : في مصر والبلقان (٤) .

ففي خريف عام ١٨٨٦ كان سولسبرى يريد مصالحة فرنسا بكلمات معسولة وإشارات إلى الانسحاب من مصر ، بينما يجدد المباحثات مع الباب العالي حول هذا الموضوع ، وكانت قد قطعت عام ١٨٨٥ . يتضح ذلك تماماً في مقابلة طويلة بين سولسبرى ووادنجتون - السفير الفرنسي في لندن - خصصت كلها

(١) يظهر ذلك في خطاب خاص له إلى Layard السفير البريطاني في القسطنطينية. أنظر .

Medlicott, The Congress, Of Berlin And After p. 345.

(٢) صدفوت : انجلترا وقناة السويس ص ٦٦

Lowe, p. 1. (٣)

Ibid. p.5. (٤)

لبحث المسألة المصرية . وفيها يتحدث سولسبري حديثاً ودياً ولكن يشوبه الغموض : كما يقول وادنجتون ، ويذكر - أي سولسبري - ان الحملة ا وفرنسا سوف يصلان إلى اتفاق بشأن المشكلة المصرية ، وانه يمكنهما أن يتفقا حول ذلك الموضوع :

“... néanmoins je suis persuadé que nous arriverons à une entente
La France et L'Angleterre auront pu se mettre d'accord ...” (1)

ومن العسير تفسير ذلك على أنه مقدمة لهذه الصفقة الانجليزية - الفرنسية التي عقدت في ابريل عام ١٩٠٤ (الوافق الودي) . وذلك لجملة اعتبارات لا تخفى على كل دارس للعلاقات بين إنجلترا وألمانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . إنما بكل تأكيد يمكن اعتبار ذلك الحديث متفقاً مع رغبة سولسبري في مصالحة فرنسا بمجرد كلمات طيبة دون أدنى التزام من جانبه . فحينما يجزبه وادنجتون بأنه لا يوجد أحد في فرنسا يصدق ان الحكومة الانجليزية مخلصة حينما تؤكد رغبتها في الاعداد للجلاء عن مصر . يكتب سولسبري بأن يصبح «انكم تخطئون جداً ..» (٢) ويؤكد ان إنجلترا انما تسعى إلى الوسائل التي تخرج بها بشرف من مصر ، وان القوات الانجليزية في مصر سوف تكون أكثر نفعاً في الهند ، وان إنجلترا مصممة على الجلاء عن مصر . ويتأدى سولسبري في تصوير مسألة الجلاء كأمر جدي تفكر فيه بريطانيا فيقول : انا حينما نعانى ميعاداً لجلائنا فلسوف نطلب حينئذ من أوروبا تحديد فترة يكون لنا الحق اباؤها في الرجوع إلى مصر في ظروف محددة . إذا نشأت في مصر حالة جديدة وخطيرة من الفوضى وحينما يسأله وادنجتون «وهل فاتحت الآخرين -

(١) من حديث سولسبري إلى وادنجتون . أنظر :

Doc. Dip. Fr. 1ère S., T. VI, no. 342,

(Waddington à Freycinet, 3 nov. 1886. Très confidentiel..

“On se trompe grandement chez vous, lorsqu'on croit que nous voulons (٢)
rester indéfiniment en Egypte ...” Ibid.

أى الدول الأخرى - بتلك الفكرة ؟ يجيب سولسبرى : « لا انك أول شخص يتحدث معه في هذا الموضوع . ثم يشير سولسبرى إلى « المصاعب البرلمانية » التي توجد في إنجلترا ، وكيف انهم في إنجلترا - كما في فرنسا - يثورون بسهولة عند اثاره القضية المصرية (١) .

وبهذه الطريقة كان سولسبرى يظن انه من الممكن مصالحة فرنسا في مصر . وكان ذلك بالنسبة له يبدو أمراً معقولاً إذا كان عليه أن يقف في وجه روسيا في نفس الوقت في البلقان . وهو يقترح - وسيلة لذلك - التعاون مع النمسا في سياسة ترمي إلى تعضيد الأمير اسكندر في بلغاريا . ولكن الوزارة رفضت كل الاقتراحين . وكان تشرشل Randolph Churchill وزير المالية وزعيم مجلس العموم - يعارض سياسة سولسبرى . (٢) كذلك حدث ما جعل سياسة سولسبرى - فيما يتعلق بالتعاون مع النمسا لصمد روسيا في البلقان - لا تلقى نجاحاً يذكر . فبسمرك كان غاية في الصراحة فيما يتعلق بذلك الأمر . وبين بوضوح انه لن يحرك اصبعاً من أجل الأمير اسكندر في بلغاريا . وان بلغاريا وحتى القسطنطينية منطقة مصالح روسية لن يتدخل فيها أو يسمح للنمسا بالتدخل . واقترح بسمرك على بريطانيا - مهتماً - أن تستأجر تركيا إذا أرادت أن تعارض روسيا في البلقان . (٣) "Mit Geld laesst sich in der Tuerkei alles machen" ، والنمسا من ناحية أخرى لم تبد تجاوباً مما جعل ادسلي Iddesleigh وزير الخارجية الانجليزية - لا يأمل الكثير منها في تلك المسألة . فالروسيا كانت قد أكدت للنمسا انها لن تغزو بلغاريا (٤) .

ولكن بمجيء يناير عام ١٨٨٧ كان يبدو ان سولسبرى قد تخلص من بعض العقبات . فهو تخلص مثلاً من تشرشل في ديسمبر من العام

Ibid. (١)

Lowe, p. 5. (٢)

Lowe, p. 7. (٣) « بالمال يفعل المرء أى شئ في تركيا » أنظر : .

(٤) نفس المرجع والصفحة

السابق ، وبسمرك - وقد شغل بأمر مباحثاته مع النمسا وإيطاليا بشأن تجديد الحلف الثلاثي - بدا أكثر استعداداً للتعاون مع إنجلترا . وكانت النتيجة أن سولسبري صار في ذلك الوقت قادراً على اتباع سياسة يختارها ، هو ، وكان يرى إلى عقد اتفاقية مع إيطاليا والنمسا لحماية الحالة الراهنة في شرق المتوسط ، وإجراء مباحثات بشأن تجديد أجل الاحتلال الإنجليزي لمصر وبذلك يصلح فرنسا وبرصيا . وكان ذلك يعني الرجوع إلى سياسة القرم (١) ، الأمر الذي كان تشرشل يعارضه بشدة ، ولكن ذلك لم يكن يعني أن سولسبري كان يرى جدوى في الجلاء عن مصر أو يفكر في ذلك حقيقة .

نلاحظ ان بسمرك أيضاً كان يعمل على ارجاع «تكتل القرم» بطريقته الخاصة ، ووضح ذلك في مذكرة له في نوفمبر ١٨٨٦ (٢) . فبينما كان سولسبري يعمل على مصالحة فرنسا وإهامها بجدية التفكير الإنجليزي في الجلاء عن مصر ، كان بسمرك يعمل على التوسط بين إنجلترا وفرنسا لمصالحتهما . وكان بسمرك يسعى إلى ذلك تقريباً من فرنسا التي أخذت تتأكد من نوايا بسمرك السلمية ، بل وفكرت في تجديد وفاق فرى مع ألمانيا إذا ما ساعد بسمرك فرنسا ضد إنجلترا في مصر . ولما كان بسمرك لا يستطيع أن يفقد إنجلترا من أجل فرنسا ، فقد عرض الوساطة بين الدولتين . وهذا - كما يرى بسمرك - يتكون تكتل شبيه بتكتل القرم يعمل على تخفيف التوتر للموقف في البلقان ويرغم روسيا على احترام الاتفاقات (٣) . ولكن إنجلترا لم ترحب بذلك الأمر . فمصر ، وموقف فرنسا في البحر المتوسط بشكل عام ، بالإضافة إلى رغبة بريطانيا في عدم تدخل دولة ثالثة في أمر مصالحتها مع فرنسا في مصر (٤) ، كل ذلك جعل ارجاع تكتل القرم كما يراه بسمرك أمراً عسيراً .

(١) Lowe, p. 8.

(٢) Taylor, The Struggle For Mastery In Europe 1848—1919 p. 305.

(٣) نفس المذكرة بالمرجع السابق .

(٤) كانت إنجلترا تعلم جيداً أن فرنسا سوف تغف وحدها إذا ما قام نزاع بيننا وبين

إنجلترا بشأن مصر . أنظر : نفس المرجع . Taylor, p. 309.

كانت هناك عقبات اذن تحول دون سولسبرى وتنفيذ سياسته ، ولكن
بمجيء يناير ١٨٨٧ كان يبدو أنه نخلص من كثير منها كما ذكرنا . وبسمرك
— وقد شغل بأمر محادثاته مع النمسا واطاليا بشأن تجديد الحلف الثلاثى —
بدا أكثر استعداداً للتعاون مع إنجلترا . فترة السنوات الخمس للحلف
الثلاثى كانت قد قاربت على الانتهاء فكان لا بد من تجديده . ولكن كانت
هناك مصاعب معينة تعترض أمام ذلك : فانمسا كانت راغبة عن الارتباط
كثيراً بايطاليا نظراً للتنافس الايطالى الفرنسى فى البحر المتوسط ، بينما
كانت ايطاليا تخشى مغبة اطماع النمسا فى البلقان وتوريط نفسها من أجل
ذلك فى حرب مع روسيا . ولكن لما كان بسمرك حريصاً على تجديد
الحلف ، فقد وجد طريقاً إلى ذلك : التعاون مع إنجلترا ، التى كانت
على استعداد لذلك نظراً لمصاعبها مع روسيا وفرنسا (١) . وكانت النتيجة
ان سولسبرى صار فى ذلك الوقت قادراً على اتباع سياسة يختارها هو ،
وتهدف — كما ذكرنا — إلى الاتفاق مع ايطاليا والنمسا ومصالحة فرنسا
وارضاؤها عن طريق اجراء مباحثات بشأن تجديد أجل للاحتلال الانجليزى
لمصر .

والتغيير المفاجيء فى سياسة بسمرك ، وهو التغيير الذى أدى إلى عقد
اتفاقيات البحر المتوسط فى فبراير ومارس ١٨٨٧ وإلى زيادة التعاون
بين إنجلترا والتحالف الثلاثى ، يراه Lowe يرجع بالدرجة الأولى إلى الضغط
الايطالى (٢) ، بينما يراه Taylor يرجع إلى موقف فرنسا الذى أملى على
أوروبا دبلوماسية سنة ١٨٨٧ (٣) .

فبسمرك — كما يرى تيلور — كان يرجو أن ترمى فرنسا فى أحضان
الروسيا : بعد هذه العزلة لفرنسا فى القارة ، وهذا بالتالى يدفع إنجلترا
إلى الانضمام إلى جانب النمسا والمجر فى المسألة البلغارية . ولكن فرنسا فوت

(١) Bruce, p. 196.

(٢) Lowe, p. 8.

(٣) Taylor, p. 310.

على بسمرك هذا الهدف بأن قررت ان تحذو حذو ألمانيا في الأزمة . وهكذا
تحرك بسمرك في عام ١٨٨٧ يتعاون مع إنجلترا (١) . أما Lowe فينظر
إلى الآراء القائلة بأن اتفاقات البحر المتوسط هي فروع للتحالف الثلاثي
على انها مبالغة ، ويرجع هذه الآراء إلى نفوذ الوثائق الألمانية Die Grosse Politik
على التاريخ الدبلوماسي لتلك الفترة . (٢)

ومن المؤكد انه كانت هناك عوامل خاصة بايطاليا . وأخرى بإنجلترا
قد انتجت هذه الاتفاقيات ، وكان لكل من سولسبري ، وكروسي
وجهة نظر دفعته إلى قبول المفاوضات من أجل هذه الاتفاقيات ، وفيما
يتعلق بايطاليا ، فان من أهم دوافعها للتفاوض مع بريطانيا بهذا الخصوص
أطاعها الاستعمارية (٣) والتي كانت تتلخص في كلمة واحدة :
طرابلس .

ومن ناحية ثانية هناك مخاوف الايطاليين ازاء فرنسا . فالإيطاليون
يرفضون بشدة وصاية الفرنسيين عليهم أو رعايتهم لم منذ أيام نابليون
الثالث . وهم أيضاً يخافون من امتلاك الفرنسيين لحوض البحر المتوسط
ومن تأمرهم ضددهم . لذلك يصمم الايطاليون على زيادة قوتهم تفادياً
لإذلال آخر قد يحقق بهم . كل ذلك - بجانب المشكلة الإيطالية الأصلية والمستمرة ،
الاريدنتا Anti - Austrian irredentism - قد اعطى انجاساً جديداً للسياسة
الإيطالية الخارجية . وبمجيء عام ١٨٨٤ رأينا دبلوماسيين ايطاليين مثل
روبلان Rabiant (٤) يزعجون خشية توسع فرنسي جديد دون معوق ،
ويصممون على الوقوف في وجه المنافسة الفرنسية . وهؤلاء كانوا يخشون أيضاً
أن يؤدي استيلاء فرنسا على المغرب وطرابلس إلى انتمجاش شعبي في ايطاليا يطيح
بالملكية ، ويخشون ما قد يترتب على ذلك من عواقب بالنسبة لايطاليا (٥) .

Ibid. (١)

Lowe, p. 8. (٢)

Ibid. (٣)

(٤) وزير الخارجية الإيطالية ١٨٨٥-١٨٨٧

Lowe, pp. 9 -- 10. (٥)

ذلك دعا إلى زيادة اهتمام إيطاليا بطنابلس عام ١٨٨٤ . ولكن إيطاليا لم تشأ أن تسيّر في ركاب ألمانيا وفرنسا (فرنسا) ضد إنجلترا سعياً وراء الغنيمة . وعلى ذلك يرفض ما نشئني (١) مناقشات فرى بشأن وفاق استعماري فرنسي - إيطالي ، ويبدو ميالاً إلى التعاون مع إنجلترا بخصوص مصر والسويس ، أملاً منه في أن يؤدي ذلك إلى تنافس إيطالي - إنجليزي قوي يعمل على حماية المصالح الإيطالية في البحر المتوسط (٢) . فهم في إيطاليا كانوا يعتقدون أن إنجلترا هي أنخلص صديق لهم في أوروبا . وهذه النظرة الإيطالية إلى إنجلترا نجدتها واضحة تماماً في اتفاقها مع ألمانيا سنة ١٨٨٢ ، كما تتضح أكثر بالنسبة لتجديدات التحالف الثلاثي فيما بعد .

وفي سنة ١٨٨٦ كان الموقف - بالنسبة لإيطاليا - كما كان عام ١٨٨٤ مع فارق هو تصدع وفاق بسمرك الاستعماري مع فرنسا إلى حد الانهيار . والموقف في البلقان قد أوحى إلى روبيلان Robilan بأنه من الممكن الحصول من ألمانيا على بعض الضمان لصالح إيطاليا في البحر المتوسط وتنمية التعاون مع إنجلترا في نفس الوقت (٣) .

وكان روبيلان واثقاً من نفسه . فهو يصر على تعضيد ألمانيا لإيطاليا في طنابلس ثمناً لتجديد الحلف الثلاثي . ولم يكن يهتم روبيلان أن يعنى ذلك تعاوناً مع إنجلترا أو فرنسا ، فعلى بسمرك تجديد ذلك . وفي ١٧ أكتوبر (١٨٨٦) جاء رد بسمرك كما أرسل به لوناى Launay - السفير الإيطالي في برلين - إلى روبيلان . وفيه يقول إن بسمرك

“n'hesite pas à formuler son opinion dans ce sens qu'il serait tout contraire tout l'interet de l'Allemagne qu'à celui de l'Italie d'entrer dans les vues de la France.” (٤)

وكان ذلك يعنى طبعاً أن على إيطاليا أن تتجه إلى إنجلترا .

(١) وزير خارجية إيطاليا (١٨٨١-١٨٨٥) .

(٢) Lowe, p. 11.

(٣) ، (٤) Ibid. p.12.

وباتضاح موقف بسمرك ازاء ما ينبغي أن تكون عليه العلاقات
الايطالية - الفرنسية ، يسعى روبيلان لعقد تحالف مع إنجلترا ، ويستدعي
Lumley السفير البريطاني في روما - يوم ٢٢ اكتوبر (١٨٨٦) - ويخبره
انه على استعداد لبث المسألة المصرية ، كما يظهر روبيلان ذلك على الملأ
في خطبة عامة له في نوفمبر ١٨٨٦ (١) .

ولكن لم يكن لهذا أثر يذكر ، فالانجليز كانوا يريدون تعصيماً في
بلغاريا . الأمر الذي كان روبيلان راغباً عنه ، والايطاليون يعرضون
تأييدهم للانجليز في مصر . وهو أمر كان الانجليز يشكون كثيراً في قيمته (٢) .

فشل روبيلان اذن في دفع بريطانيا إلى اتخاذ الخطوة الأولى نحو عقد
تحالف ايطالي - انجليزي . فقام هو بتلك الخطوة . وقابل Corti كورتى
السفير الايطالي في لندن - سولسبرى في ٧ - ١٧ يناير ١٨٨٧ . وأشار
إلى أن الوقت قد حان لتفاهم انجليزي - ايطالي (٣) . وفي هذه المقابلة
الأخيرة يقول سولسبرى للسفير الايطالي أنه يود أن يجعل العلاقات
مع ايطاليا أكثر توطئاً وأكثر نفعاً (٤) .

واقترحات كورتى كانت غامضة إلى حد ما (يناير ١٨٨٧) . ولكن
منها يمكن فهم سولسبرى للعروض الايطالية ، سواء كانت توحى بتعصيماً
ايطالي في بلغاريا بالذات أو شرقي المتوسط عامة . فان سولسبرى - كما
كتب إلى سفيره في القسطنطينية Marier في ١٩ يناير ١٨٨٧ -
كان يعتقد بأن استخدام ايطاليا في الدفاع عن الحالة الراحنة في الشرق
انما هو أمر واقع (٥) .

Ibid. (١)

Ibid. p. 13. (٢)

Ibid. (٣)

Taylor, p. 310 (٤)

Low, p. 14. (٥)

ولكن اقتراحات روبيلان التي جاءت بالتفصيل فيما بعد (١ فبراير سنة ١٨٨٧) كانت على عكس ما توقع الانجليز . فهي وإن كانت تتكلم عن أثرها في القضاء على الخطر الروسي الا انه يبدو انها كانت ترمى إلى تحالف في حالة الحرب ضد فرنسا : (١) وكان ذلك أكثر مما كان يرى اليه سولسبرى (٢) .

فالإيطاليون كانوا يرغبون في عقد اتفاقية محددة واضحة لمراعاة الحالة الراهنة في البحر المتوسط . وقد اقترحوا لذلك مراعاة الحالة الراهنة في البحر المتوسط والادرياتي والايجي والبحر الأسود ومقاومة كل ضم أو احتلال أو حماية في هذه الجهات . وعدم احداث تغيير في هذه المناطق مهما كان دون موافقة مسبقه من انجلترا وايطاليا ، والتأييد الايطالى لانجلترا في مصر مقابل التأييد البريطاني لايطاليا في شمال افريقيا ولا سيما في برقة وطرابلس وذلك ضد أى غزو بمعرفة دولة ثالثة ، وأخيراً تعضيداً عاماً متبادلاً في البحر المتوسط . ولكن يلاحظ أن كل هذه المقترحات كانت تعنى أكثر من حلف ضد فرنسا أو ضد النمسا والمجر فيما يتعلق بالادرياتي (٣) .

ويبدو ان الإيطاليين - بهذا العرض - كانوا قد أساءوا فهم البريطانيين ، فالبريطانيون ، رغم أنهم كانوا مستعدين لاعطاء ايطاليا نوعاً من التعضيد في طرابلس كما أعطاهم الإيطاليون في مصر ، لم يكونوا على استعداد للارتباط معهم بحلف من هذا النوع . فقد يلجأ مثلاً خليفة روبيلان إلى شن حرب ضد فرنسا لاسترجاع نيس وسافوى . وعلى أية حال فانجلترا لم يكن لديها ما يمنع من ايجاد تفاهم مع ايطاليا - في حالة زوال احتمال عمل ايطاليا على استرجاع نيس وسافوى . فطرابلس نفسها ،

Ibid. (١)

Taylor, p. 311. (٢)

Ibid. (٣)

في هذه المرحلة ، لم تكن تكون عقبة في سبيل مثل هذا التفاهم . وقد أكد سولسبري لكورتى انه في الوقت الملائم فان ايطاليا هي التي سوف تحتل طرابلس وليست فرنسا . وكانت إنجلترا تعلم ان طرابلس لا تثير مشكلة تذكر مع فرنسا (١) .

وكان على كورتى أن يؤكد لسولسبري ان ايطاليا ليست لديها أية نية لمهاجمة فرنسا ، ولكن ايطاليا - ببساطة - تريد الا تتكرر مسألة تونس بصورة أخرى . وقد أكد روبيلان ذلك في ٧ فبراير ١٨٨٧ (٢) .

وإذا كانت ايطاليا حقيقة ليست لديها النية لمهاجمة فرنسا فان اتفاقاً مع ايطاليا يربط إنجلترا بدول الوسط يبدو لانجلترا ذا ميزات متعددة بالنسبة لها .. ولكن الأمر الذي كان يخيف سولسبري حينئذ كان هذا الذي يقوله بسمرك في الرايشتاج Reichstag / وما كان يعنيه عن قرب حدوث حرب فرنسية - ألمانية .

وفي الواقع كانت الصحافة الألمانية والرأي العام الألماني حينئذ يتكلم عن استعدادات فرنسية على الحدود وعن النزعة الحربية للجنرال بولانجيه Boulanger وزير الحرب الفرنسي (٣) . ورغم ان Hauffeldt السفير الألماني في لندن - قد أبلغ سولسبري في ٢٤ يناير ١٨٨٧ أن ألمانيا سوف تهاجم فرنسا في الحال إذا استمرت استعدادات بولانجيه الحربية (٤) الا أن كلى المستشار والقيصر في ألمانيا لا يفتأ يؤكد نزعة ألمانيا السلمية ازاء فرنسا (٥) . ذلك يرجح الرأي القائل بأن الخطر الفرنسي على ألمانيا حينئذ انما هو خطر وهمي كان يحلو لبسمرك أن يخلفه .

(١) Lowe, p. 14.

(٢) Ibid., p.15.

(٣) أنظر Herbette (برلين) الى Flourins ، ٢٣ يناير ١٨٨٧ - الوثائق الفرنسية - المجموعة الأولى - جزء ٦ رقم ٤٠٤

(٤) Lowe, p. 15.

(٥) أنظر Flourins الى laboulaye (سان بيترسبورج) - ٣ فبراير ١٨٨٧ - الوثائق الفرنسية - المجموعة الأولى - جزء ٦ رقم ٤٢٢ .

وبسمرك من ناحية أخرى - كان يتعجل حدوث اتفاق إيطالي -
 انجليزي ، وذلك قبل أن يضع Kainoky العتبات في اللحظة الأخيرة ..
 ونرى بسمرك في هذه المباحثات الإنجليزية - الإيطالية مهتما بالشرق وليس
 بالغرب . فهو باهتمامه كثيراً بالارتباط مع إنجلترا في الشرق إنما يضمن
 أن إيطاليا سوف تكون عند التزاماتها - الأمر الذي كانت فيينا تشك فيه .
 ذلك يفسره ما أبلغه بسمرك إلى Malei - السفير البريطاني في برلين -
 في يوم ١ فبراير ١٨٨٧ بأنه ليست هناك حاجة إلى أي اتفاقية موجهة
 ضد فرنسا . بل إن كل المطلوب هو تفاهم بخصوص الشرق .

في نفس الوقت يتنح الانجليزي Harshitt - السفير الألماني في لندن
 باعطاء ضمان لتأييد ألماني في مصر (١) .

على أية حال ، نجد انه بمجيء أول فبراير ١٨٨٧ اتضح انه كان هناك
 قدر كبير من التفاهم بين سولسبري وروبيلان . واطمأن الانجليز إلى نزعة
 إيطاليا ، فقد أوضح Robilant ان كل ما يطالبه هو التأكد من عدم
 وجود احتمال لاتفاق أوروبي قد يعطى طرابلس إلى فرنسا . فهذا من شأنه
 أن يحدث زوبعة في إيطاليا قد تؤدي إلى الحرب (٢) .

وهكذا نجد ان الوزارة البريطانية مطمئن ، وتسمح لسولسبري
 بأن يجيب روبيلان بالموافقة (٢ فبراير ١٨٨٧) ، ولا سيما وان تشرشل
 كان - كما ذكرنا - قد خرج من الوزارة ولم يعد سولسبري يجد معارضة
 لآرائه .

واستقالة الوزارة الإيطالية التي كان روبيلان وزيراً للخارجية بها
 (٥ فبراير ١٨٨٧) جعل سولسبري يسرع بعقد الاتفاق المنشود ، وذلك
 قبل أن تنفذ سياسات إيطاليا الداخلية في سبيل خطته (٣) ..

Lowe, pp. 15-16. (١)

Ibid. p. 16. (٢)

Ibid. (٣)

وأخيراً تتمكن كل من بريطانيا وإيطاليا من الوصول إلى اتفاقية سرية (١٢ فبراير ١٨٨٧). وهي الاتفاقية الأولى من سلسلة الاتفاقات التي عقدتها بريطانيا مع الدول وسميت باسم اتفاقات البحر المتوسط Mediterranean Agreements وهذه اتفاقية من أجل حفظ الحالة الراهنة status quo في البحر المتوسط والبحر الأدرياتي والبحر الابحجي والبحر الأسود. وفيها تتعهد إيطاليا بتعضيد المصالح البريطانية في مصر، كما تتعهد بريطانيا بحماية السواحل الإيطالية من الأسطول الفرنسي (١)

وقد جاءت هذه الاتفاقية - كما أرادها سولسبرى - تخدم الظروف الحاضرة، ولا ترتبط بها بريطانيا ارتباطاً محمداً، ولا تطلى الإيطاليين سوى موافقة عامة لفكرة التعاون. وقد أضاف سولسبرى إلى الاتفاقية جملة غامضة حول مضمون هذا التعاون تقول:

"... the character of that co-operation must be decided by them, when the occasion for it arises, according to the circumstances of the case."

وكان سولسبرى يعنى بكلمة by them الانجليز. بينما كان الإيطاليون يفهمونها على أنها تعنى كلى الحكومتين البريطانية والإيطالية (٢).

وقد لجأ سولسبرى إلى جعل الاتفاق على شكل خطابات متبادلة وليس بصورة معاهدة. وهى طريقة يستطيع بها أن ينفى للبرلمان أنه قد فعل أى شيء. وفي نفس الوقت فهو يخبر روبيلان أن تنافساً بين بريطانيا وإيطاليا على ذلك النحو سوف يكون له نفس تأثير «الاتفاقية». وعلى أى حال فتنظر سولسبرى فان اتفاقاً مع إيطاليا هو يمثل اتجاهها سياسياً سليماً بالنسبة لتصدقات التقليدية بين الإيطاليين والبريطانيين (٣).

(١) Esnor, p. 198.

(٢) Taylor, p. 311.

(٣) Lowe, p. 17.

وبالنسبة لإيطاليا نجد أن الحلف الجديد مع إنجلترا يخدمها سواء بالنسبة لمركزها في المتوسط وأطرافها هناك أو بالنسبة لعلاقتها بالحلف الثلاثي، فهنا الحلف قد قوى من مركز إيطاليا كثيراً، كما اعترف - لأول مرة - بأطرافها في البحر المتوسط، فالمادة الثالثة من اتفاقها مع إنجلترا تنص على أنه بينما على إيطاليا أن تعضد بريطانيا في مصر فإن على بريطانيا بالتالي - في حالة اغتصاب دولة ثالثة لأراض (طبعاً بالبحر المتوسط، والمقصود هنا فرنسا والمغرب) - أن تعضد عمل إيطاليا في أي جهة أخرى على سواحل افريقية الشمالية ولاسيما في برقة وطرابلس (١) وهكذا كان الطريق في الواقع قد تمهد للحرب الطرابلسية سنة ١٩١١، بعد أن حددت هذه الاتفاقية الأهداف الإيطالية واعترفت بأمال إيطاليا في شمال افريقية.

وبعد إيطاليا لاتفاقها مع إنجلترا تتحرر النمسا من مخاوف انزلاقها وحدها إلى حرب ضد فرنسا بسبب إيطاليا، ويتجدد الحلف الثلاثي (٢٠ فبراير ١٨٨٧) بعد أسبوع من عقد اتفاق البحر المتوسط هذا، وبعد مصاعب تخطاها بسمرك مستخدماً مهارة مرموقة في ذلك السبيل، فيسمر ك يحدد التحالف الثلاثي بدون تغيير لأرضاء كالتوكي كما تعقد اتفاقيات منفصلة بين إيطاليا وكل من ألمانيا والنمسا والمجر. وفيها تعد ألمانيا إيطاليا بمساعدتها إذا حاولت فرنسا أن تمت احتلالها أو حمايتها أو سيادتها على طرابلس أو المغرب، كذلك تعد ألمانيا بأن تهرع إلى نجاتها إذا هي تحركت بعدئذ في شمال افريقية أو حتى إذا هاجمت فرنسا في أوروبا، وفضلاً عن ذلك فالألمانيا تعد إيطاليا بأن تحصل لها على ضمانات اقليمية لسلامة حدودها ومركزها البحري، وكانت تقصد بذلك كورسيكا وتونس ونيس (٢). وبذلك لم يعد التحالف الثلاثي مجرد عصبة من أجل السلام - كما كان يخلو لبسمر ك أن يصيغ - وصار بعيداً كل البعد عن وعود بسمرك المتكررة بتعصيب فرنسا في كل مكان ما عدا الأتراس واللوردين.

(١) Bruce, p. 196.

(٢) Taylor, p. 312.

وأهداف ايطالياتي علاقتها بانمسا تتضح أيضاً عند تجديد الحلف الثلاثي ،
ففي اتفاقية منفصلة وملحقة بالحلف الثلاثي تتفق الدولتان على أنهما إذا
وجدتا ضرورة لاتخاذ خطوات لتغيير الحالة الراهنة في البلقان أو الادرياتي
والايجي ، فعليهما أن تتفقا مسبقاً بالنسبة للخطوات التي عليهما اتباعها ،
وكذلك ينص الاتفاق - في هذه الحالة - على أن تنال كل منهما تعويضاً
عن أي كسب تحصل عليه الأخرى . . وهذه الفقرة قد احتواها التجديد
للحلف الثلاثي في أعوام ١٨٩١ ، ١٩٠٢ ، ١٩١٢ . . ونلاحظ ان ايطاليا
تنحلي عن الحلف الثلاثي في سنة ١٩١٥ بحجة أن هجوم النمسا على الصرب
هو خرق لهذا الاتفاق (١) .

وهكذا . . بمجيء فبراير ١٨٨٧ كان سولسبري قد حصل أخيراً
على ما كان يسعى للحصول عليه منذ صيف سنة ١٨٨٦ : اتفاقية ربطت
بين دول الوسط بهدف الدفاع عن الحالة الراهنة في الشرق ، ولاسيما
وأن موافقة النمسا عليها (مارس ١٨٨٧) قد زادت من قيمتها .

وكانت الأسباب الرئيسية لامتناع كالنوكي Kalnoky عن ذلك
في الماضي هو موقف برلين من ناحية ، وما كان يراه من عدم الاعتماد
على السياسة البريطانية التي كانت متأثرة بنفوذ تشرشل من ناحية أخرى .
ولكن الآن - وقد ذهب تشرشل - ومنذ ١٦ فبراير قد بدأت برلين
تتعبجه الانضمام إلى التكتل البريطاني - الايطالي . وبذلك لم يعد هناك
ما يمنع من فتح باب المفاوضات مع بريطانيا في ٢٣ فبراير بقصد الوصول
إلى اتفاق على غرار ذلك الذي عقده بريطانيا مع ايطاليا (٢) . .

وبالنسبة لانجلترا ، فانه إذا كان اتفاقها مع ايطاليا (فبراير) ثم اتفاق
ايطاليا مع ألمانيا في الأسبوع التالي قد ضمننا الحالة الراهنة في البحر المتوسط
ضد فرنسا ، فان الخطر من جانب روسيا قد أغفلته هذه الاتفاقات .

(١) Bruce, pp. 196—197.

(٢) Lowe, P. 17.

ولم يكن ذلك التجاهل بالطبع الأمر الذي يسر النمسا . وهنا كان سولسبرى أيضاً مستعداً لارضاء النمسا . فسمى إلى ذلك الأمر وهو يرى ان الوزارة البريطانية - وقد انزلت إلى اتفاقية - فان تعارض في عقد أخرى (١) .

وقد كان كالتوكي - كما كان روبيلان - يفضل تحالفاً قوياً صلباً لا يربط الحكومة البريطانية الحالية فحسب ، بل الحكومات البريطانية القادمة أيضاً .. ولكن سولسبرى رأى ان عقد اتفاق Treaty غير مأمون العواقب بالنسبة لمركزه البرلماني .. وجهد سولسبرى كثيراً ليقنع كالتوكي بأن اتفاقاً سياسياً له قيمته ، على أن تترك القرارات العسكرية فيما بعد حسباً تملئ الظروف والأحداث (٢) .

وقد كان لسولسبرى ما أراد . وهكذا يجيء اتفاق بريطانيا مع النمسا (٢٤ مارس ١٨٨٧) وفي المذكرات المتبادلة بين الحكومتين البريطانية والنمسية تذكر الحالة الراهنة وعلى الأخص في البحرين الايجي والأسود ؛ ولكنها لم تحتو على اشارة محددة للبلقان ، وهو ما كان كالتوكي يصر عليه في أول الأمر . وهذه المذكرات - مثل مثيلاتها المتبادلة مع ايطاليا - تكلمت فقط عن تعاون دبلوماسي ، لم ويكن هناك أى وعد أو ارتباط من جانب بريطانيا بشيء (٣) . وبذلك يكون سولسبرى قد ربط انجلترا إلى تفاهم سياسي عام مع ايطاليا والنمسا في البحر المتوسط . تاركاً أمر الترتيبات التفصيلية بشأن التعاون بين الدول الثلاث تحددها الظروف والضرورة (٤).

والاتفاق الانجليزي - النموي قد جاء بمزايا بالنسبة للنمسا . فقد حصلت النمسا على ما سبق أن رفضه روبيلان - وزير الخارجية الايطالية - عند تجديد الحلف الثلاثي ، وهو التعضيد الايطالي في الشرق . وبذلك

(١) Taylor, p. 312

(٢) Lowe, p. 17.

(٣) Taylor, p. 313.

(٤) Lowe, p. 18.

يرجع لانجلترا الفضل في ازدياد تماسك التحالف الثلاثي، فكالتوكني - في أول الأمر - لم يول هذه الاتفاقات اهتماماً يذكر (١) .

وهكذا تكون اتفاقات فبراير ومارس ١٨٨٧ قد خلقت وفاقاً ثلاثياً يحمي مصالح بريطانيا في مصر ومصالح إيطاليا في طرابلس ومصالح الجميع في القسطنطينية . ونلاحظ إنه رغم أن فرنسا لم تكن تعلم شيئاً عن أية اتفاقية مكتوبة تدور حول البحر المتوسط ، وكذلك كان الروس ، الا أن هذه الحقيقة عن التعاون الدبلوماسي الذي اشتمت عليه هذه الاتفاقات كانت واضحة للجميع (٢) .

وقد يكون هدف سولسبري من هذه الاتفاقات هو ضمان تأييد دول وسط أوروبا الدبلوماسي في المدالة المصرية ، ولكنه على أية حال قد برر هذه الاتفاقات للملكة فيكتوريا بأنها أحسن طريقة لدرء خطر عصابة من دول القارة الأوروبية قد تسعى إلى تقسيم الامبراطورية البريطانية (٣) .

والاتفاقات في حد ذاتها نصر كبير للدبلوماسية البريطانية . فقد حصل الانجليز على تأييد دبلوماسي لم دون وعد صريح بعمل قد يعقب ذلك التأييد . وبذلك ضمن الانجليز أغلبية صامدة في وجه الفرنسيين في مصر (٤) .

كانت الخطوة التالية لسولسبري - بعد عقد اتفائه مع النمسا (مارس ١٨٨٧) ، هي انتهاز فرصة هذا الموقف - غياب تشرشل من ناحية . وتعزيد بسمرك من ناحية اخرى - وإحياء فكرة المفاوضات بخصوص الانسحاب من مصر (٥) .

Ibid. (١)

Ibid. p. 313. (٢)

Ibid. 314. (٣)

Ibid. (٤)

Lowe, p. 18. (٥)

وبعد تسعة شهور اتخذت الامور شكلها النهائي بعقد اتفاقية البحر المتوسط الثانية (١٢ ديسمبر ١٨٨٧). وُلّهي اتفاقية لا يحمل اسمها سوى النذر اليسير من المعنى لأنها لا تحوى الا القليل عن البحر المتوسط . وانما هي قد جاءت على اية حال نتيجة للأزمة البأغارية وميؤول كل من كرسبي وكالتوكى .

ففى ٧ يوليو (١٨٨٧) انتخب المجلس البأغارى فرديناند Ferdinand of Coburg أميراً متحدياً بذلك رغبات الروس ، وبدا التدخل الروسى وشيك الوقوع . وتكرر موقف الحريف الأسبق : كل من بسمرك وسولسبرى يرغب فى أن يكمل إلى الآخر أمر تعضيد النمسا والمجر ، وفى ٣ أغسطس يقابل سولسبرى هاتزفيلد Hatzfeldt فى لندن ، ويبدأ سلسلة من المناقشات حول الأمور العالمية . وبدا الأمر صعباً . فولسبرى يصر على أنه من غير الممكن انقاذ الامبراطورية العثمانية وأن انجلترا سوف تضطر إلى اقتسامها مع روسيا ، مالم تعضدها المانيا . ولكن بسمرك لم يحدع وسرعان ما أرسل إلى سفيره فى لندن - بعد أقل من أسبوع (١) - بأن من دواعى سروره أن يعمل على تشجيع تفاهم روسى - انجليزى . وحينئذ تراجع سولسبرى واجاب بأنه لا يستطيع أن يخذل ايطاليا ويهجرها وأن اتفاقية انجليزية روسية على أية حال ، أمر مستحيل ، وهذا هو الأمر الوحيد فى المسألة الذى كان بسمرك يعمل على تحقيقه (٢) .

وجاء دور سفراء الدول الثلاث المتحالفة (ألمانيا - النمسا والمجر - ايطاليا) فى القسطنطينية . فبدأوا فى التشاور حول موقف تركيا فى الأزمة ، وأنها سوف تسلم للروسيا عند أول تهديد روسى لها . وتكلم السفراء الثلاثة عن فكرة اعطاء تركيا قوة للمقاومة ، على الأقل قوة أدبية . وتبنت ايطاليا هذا الاقتراح بتحماس . فكرسى - وقد صار رئيساً للوزراء

(١) فى ٨ أغسطس ١٨٨٧ . انظر . Taylor, p. 319.

(٢) نفس المرجع ص ٣١٩ .

منذ يوليو ١٨٨٧ - كان يعلم تماماً مدى ضعف بلاده وتفككها، واعتقد ان علاج ذلك يكمن في دفع ايطاليا إلى النشاط . لذلك كان كرسبي ينتهز أي فرصة لظهور بلاده بمظهر الدولة العظمى ، ويعمل على كسب تأييد بريطانيا لسياسته الاستعمارية العدوانية عامة وموقف ايطاليا من فرنسا في البحر المتوسط خاصة . ففي ابان وزارة كرسبي الأولى (١٨٨٧ - ١٨٩١) لم يغفل قط - بصفته وزيراً للخارجية - مسألة بيزرت التي كان الفرنسيون قد أثاروها منذ عام ١٨٨١ . كذلك فهو لم يفتأ - طوال هذه الفترة - اثاره هذه المسألة لدى الدول الصديقة والمتحاذية وحتى المهتمة عند أي بادرة لأي عمل انشائي في بيزرت مهما كان نافعاً (١) ولكنه يرمي إلى جعلها قاعدة بحرية تهدد أمن وسلام ايطاليا . وكان كرسبي يهتم على وجه الخصوص بجذب انجلترا للتعاون معه ومع حلفاء ايطاليا في عمل يهدف إلى منع استمرار فرنسا في هذه الانشاءات . فأعمال فرنسا هذه كانت تبدو في نظر كرسبي مخالفة لما سبق وتعهدت به فرنسا حينما فرضت حمايتها على تونس ، كما انها أيضا تخل بالتوازن وتهدد الحالة الراهنة بالبحر المتوسط (٢) .

وفي هذا المضمار - العمل على كسب تأييد بريطانيا لايطاليا - كان كالتوكي يؤيد كرسبي ، فكالتوكي يريد جذب انجلترا أكثر إلى الشرق الأوسط . وقد رحب سولسبري بالتفاهم مع انتمسا وايطاليا حول هذا

Crispi, Francesco, "Politica Estera" (1871-1890)

(١) أنظر

"Questioni Internazionali" Traduction fr. de P.G. Grandchamp. p.123.

(٢) والحكومة الانجليزية بدورها كانت تشارك كرسبي وجهة نظره . ففي مذكرة لما إلى الحكومة الايطالية في ١٩ يناير ١٨٨٩ تذكر أن بيزرت كانت أقوى مركز استراتيجي في البحر المتوسط . وهي لذلك تعاتب بشدة الحكومة الفرنسية وتوجه نظرها إلى التزاماتها في هذا المجال والتي تعهدت بالوفاء بها منذ عام ١٨٨١ ، وكذلك فعلت المانيا عن طريق سفيرها في باريس . وفي مذكرة أخرى لسولسبري - ردا على مراسلة من حكومة كرسبي بتاريخ ٢٩ يناير ١٨٨٩ - يؤكد سولسبري أن مسألة بيزرت تم بريطانيا بقدر لا يقل عن اهتمام ايطاليا بها ، وأنها تراتب الموضوع بكل اهتمام ويقظة - أنظر المرجع السابق ص ١٢٢ /

. ١٢٤

الموضوع ، ولكنه طلب أن تغطي الاتفاقية آسيا الصغرى كما تشمل بلغاريا والمضايق . والوزارة البريطانية لم تسلّم أول الأمر برأى سولسبرى بضرورة الاتفاق مع انجسا وإيطاليا ، ولكن موافقة بسمرك الأدبية - كطلب سولسبرى - على ذلك الاتفاق ، دون أى وعد بمساعدة عملية أو الارتباط بسياسة معينة ، هذه الموافقة الأدبية كانت بمثابة ارضاء للوزارة البريطانية (١) .

وهكذا توقع اتفاقية البحر المتوسط الثانية (١٢ ديسمبر ١٨٨٧) ، وفيها تحدد الدول الثلاث في المحافظة على الحالة الراهنة في الشرق الأدنى ، كما يتفقون بوجه خاص على حرية المضايق والسلطة التركية في آسيا الصغرى وسيادتها على بلغاريا . وإذا اضطرت تركيا إلى مقاومة «أى مشروعات غير قانونية» - ومن المفروض أن تأتي من جانب روسيا بالطبع - فإن الدول الثلاث عليها أن «تصل في الحال إلى الوسائل التي تتخذها لحمايتها» . أما إذا تجاهلت تركيا مثل هذه «المشروعات الغير قانونية» ، فإن الدول الثلاث «سوف تجد مبرراً للاحتلال ما تراه ضرورياً من الأراضي التركية حسبما يتفق عليه ، باعتبار أن مثل هذا الأمر شيئاً ضرورياً . ومن ذلك نرى انه إذا كانت اتفاقات البحر المتوسط الأولى تهدف إلى تعاون دبلوماسي ضد فرنسا على وجه الخصوص ، فإن الاتفاقية الثانية كانت تمهيداً لعمل عسكري محتمل موجه ضد روسيا فقط .

ولكن ارتياح سولسبرى بخصوص تلك الاتفاقية لم يستمر كثيراً . فيسبرك قد أخبره بمحتويات المحالفة الخمسوية الألمانية لعام ١٨٧٩ . بالإضافة إلى ذلك فسولسبرى لم يكن ليطمئن على الاطلاق إذا علم بمحتويات الاتفاقية الألمانية-الروسية (٢) Reinsurance Treaty (١٨٨٧) التي فيها وعد المستشار

(١) Taylor, pp. 320 - 321.

(٢) بدأت غفوضات هذه الاتفاقية في صيف عام ١٨٨٧ . وهذه هي المحالفة الرابعة المهمة ، بعد الحلف الألماني - النمساوي (١٨٧٩) وحلف الأباطرة الثلاثة (١٨٨١) والتحالف الثلاثي (١٨٨٢) ، التي عقدها بسمرك بعد مؤتمر برلين ... وهذه المحالفة الروسية - الألمانية هي في الواقع اعتراف من بسمرك بفشله في أمرين : ازالة التوتر بين ألمانيا وفرنسا ، وازالة بين انجسا والمجر والروسيا من ناحية أخرى . أنظر : Bruce, p. 879

الألماني الروسي بالحياد المشيع بالعطف في حالة تقدمها في الباقان والمضائق (١) وموافقة بسمرك ومباركته لاتفاقيات البحر المتوسط وعقدته لاتفاقه ذلك مع روسيا في نفس الوقت لمن المسائل المعقدة التي يصعب تفسيرها (٢) .

وسقوط بسمرك (٩ مارس ١٨٩٠) لم يؤثر مباشرة على علاقة دول الوسط بالبحر المتوسط فيما يتعلق بالبحر المتوسط . وظلت ألمانيا تشجع زيادة تقارب إنجلترا من دول الوسط . ففي ٧ مارس ١٨٩١ كتب مارشال Marschal ، وزير الخارجية الألمانية ، يقول : إن صداقة بين إيطاليا وإنجلترا لمي شوكة خاصة في عين فرنسا ، كما أنها أكبر عقبة في وجه المطامع الفرنسية في البحر المتوسط» (٣) .

لذلك جهدت ألمانيا في تقرب إنجلترا من إيطاليا برباط أقوى من ذلك الذي تم في عام ١٨٨٧ . فاتفاقيات البحر المتوسط (مارس وديسمبر ١٨٨٧) لم تر فيها ألمانيا قرارات حول البحر المتوسط بالمعنى الضيق ، إنما كانت كلها تتعلق بالمشكلة الشرقية . وكانت ألمانيا تعلم أن اتجاه السياسة الإيطالية هو ضمان مصالح إيطاليا في البحر المتوسط قدر الامكان . بواسطة اتفاقيات مناسبة ، ولم تحاول إيطاليا أن تخفي هذا الاتجاه في ابان المباحثات مع ألمانيا بشأن تجديد الحلف الثلاثي . وإيطاليا يدورها كانت تعتقد بأن اتفاقها السري مع إنجلترا غير كاف لحماية مصالحها كما أنه فشل في الاعتراف بأهمية إيطاليا بالنسبة للسياسة البريطانية (٤) . لذلك تظهر اقتراحات ألمانية ترمى إلى دخول إنجلترا في اتفاق لمراعاة الحالة الراهنة في كل حوض البحر المتوسط . ورغم أن سولسبري كان

Ensor, pp. 198—199.

(١)

Herzfeld, Hans, Die Moderne welt, I Teil, p. 238.

(٢) أنظر :

German Diplomatic Documents vol. II, p. 55.

(٣)

(٤) هكذا أخبر Torielli ، السفير الإيطالي في لندن ، زميله الألماني Herzfeldt -

هاتفلة إلى الخارجية الألمانية ، ٢٦ مارس ١٨٩١ - سري -

Germ. Dip. Doc. II, p. 94.

يُبعثي الاستقرار في تقارب أشد مع إيطاليا ومع الحلف الثلاثي بالتالي ،
فالتولتان لم تصلا - في هذا المجال - إلى اتفاق محدد (١) .

ورغم ان سياسة سولسبري المتميزة بالصدافة الواضحة مع الحلف
الثلاثي قد استمرت بعد سقوط سولسبري ومجيء روزبري وزيراً للخارجية
(١٨٩٢) ، إلا أن هذه العلاقة الوطيدة لا تلبث أن تنهار في عام ١٨٩٦ -
أبان وزارة سولسبري نفسه الثالثة . فحينما تولى روزبري وزارة الخارجية
سنة (١٨٩٢) أخبر سفراء دول الحلف الثلاثي بأنه يعزّم الاستمرار في
سياسة سولسبري ، وأبدى السفراء ارتياحهم الودي إزاء هذه البادرة
الطيبة منه . وهكذا استمرت الوزارة في اتباع سياسة الصداقة الواضحة
مع الحلف الثلاثي ، ولكن دون ارتباط أو وعود أو اتفاق محدد المعالم ،
وهذه كانت سياسة - كما كان يقول لورد جراي - يمكن التخلّص
منها في أي لحظة (٢) . ومع ذلك فهذه العلاقة كثيراً ما كانت تُثير الرأي
العام الفرنسي ولا سيما في أوقات الاحتكاك بين البلدين ، فتكلم الصحافة
الفرنسية عن الحلف الثلاثي ناعته إياه بالحلف الرباعي (٣) .

وفي عام ١٨٩٦ تنهار هذه العلاقة بين إنجلترا ودول الوسط ، وهي
علاقة كما رأينا قد نمت وقويت بعناية منذ عام ١٨٨٧ ، وتحل محلها
هذه السياسة المشهورة عن البريطانيين : العزلة الرائعة Splendid Isolation .
ودواعي هذا التغيير معقدة في الغالب بعكس ما تبدو به لأول وهلة ؛
هناك ما يتعلق بالوزارة البريطانية . فالعارضة بالنسبة لآراء سولسبري
صارت أقوى كثيراً بعد عام ١٨٩٥ . بالإضافة إلى ذلك فقد حدث تغيير
في التفكير بشكل عام ، وبدا هناك احساس واضح في لندن بتصدع
الحلف الثلاثي . في نفس الوقت ، صارت برلين مقتنعة بمجيء عام ١٨٩٦

(١) ملحوظة بالمرجع السابق ص ٩٤ . انظر أيضا الفصل الخامس بإيطاليا والبحر

المتوسط ، نفس المرجع ص ٩٥-١٠٧

(٢) Grey, Twenty-Five Years vol. I, p. 47.

(٣) Ibid, pp. 47 - 48.

بأن المناوصات مع إنجلترا كانت بمثابة مضيق للوقت . كذلك كان لاتباع ألمانيا لسياستها الاستعمارية Kolonialpolitik أثره في ابعاد كلى المسؤولين والرأى العام في بريطانيا عن ألمانيا (١) . وكان ذلك في الواقع يعنى اسبيل اتفاقات البحر المتوسط .

وفيا عدا اتفاقات البحر المتوسط هذه . بقيت بريطانيا بوجه عام بعيدة عن التحالفات الأوروبية . وقد ارتفعت أصوات في بريطانيا في عام ١٨٩٨ تنادى بنبذ سياسة العزلة هذه (٢) ولكن عقدت بريطانيا لاتفاقيتها مع فرنسا (٢١ مارس ١٨٩٩) كانت نصراً لسياسة العزلة» بالنسبة لبريطانيا . (٣) فالإنجليز قد اطمأنوا - بعقد هذه الاتفاقية - على مركزهم في مصر ، ولم تعد بريطانيا . من وجهة النظر العسكرية . في حاجة إلى تعضيد الدول الأخرى لها في مصر . وهذا أنهت فاشودة في الواقع ما تبقى من وفاق البحر المتوسط .

(١) أنظر Lowe, pp, 91 94.

(٢) Eubank, Keith, Paul Cambon-Master Diplomatist, p. 64.

(٣) Taylor, p. 382.

ثبت الاعلام

- ادملى Iddesleigh وزير الخارجية الانجليزية فى وزارة سولسبرى الثانية
خاتمته سولسبرى فى وزارة الخارجية فى يناير ١٨٨٧ .
- بسكر Bismarck مستشار الرايخ الالمانى (١٨٧١ - ١٨٩٠) .
- بولانجييه Boulanger, Georges-Ernest وزير الحرب فى وزارته فريسينيه
وجويليه (يناير ١٨٨٦ - مايو ١٨٨٧) .
- بيكونزفيلد Beaconsfield (Benjamin Disraeli) الرئيس الفعلى للوزارة
البريطانية (١٨٥٢) . رئيس الوزراء (١٨٧٤ - ١٨٨٠) (حصل على
لقب كونت بيكونزفيلد عام ١٨٧٦) .
- تشرشل Randolphe Churchill وزير مالية بريطانيا فى وزارة
سولسبرى الثانية (تكونت فى أغسطس ١٨٨٦) . استقال فى يناير ١٨٨٧
- تورنيلى Tornielli السفير الايطالى فى لندن .
- تياور Taylor, A.J.P. مؤرخ بريطانى معاصر . عمل محاضراً فى الجامعات
البريطانية . كتب للصحافة واشتغل معلقاً على الأحداث بالاذاعة
البريطانية . له مجموعة من الأعمال الجيدة فى التاريخ الدولى .
- روبرت موريه Robert Morier سفير بريطانيا فى بطرسبرج .
- روبيلان Robilant, General di وزير خارجية ايطاليا (اكتوبر
سنة ١٨٨٥ - ابريل ١٨٨٧) .
- سولسبرى Salisbury رئيس وزارة بريطانيا ١٨٨٥ - ١٨٨٦ ،
١٨٨٦ - ١٨٩٢ ، ١٨٩٥ - ١٩٠٢ .
- فرديناند Ferdinand of Coburg امير بلغاريا المنتخب (١٨٨٧) .
- فرى Ferry, Jules رئيس الوزارة الفرنسية ١٨٨٠ - ١٨٨١ - ١٨٨٣ -
١٨٨٥ . كذلك تولى الخارجية منذ ١٨٨٣ .
- فلورين Flourins وزير الخارجية الفرنسية ١٨٨٧ - ١٨٨٨ .

كالنوكى Kalnoky, Gustave وزير خارجية النمسا والمجر (١٨٨١) -
١٨٩٥ .

كرسي Francesco Crispi رئيس الوزارة الإيطالية (يوليو ١٨٨٧ -
يناير ١٨٩١) .

كورنى Gorri السفير الإيطالى فى لندن

لابولاي Laboulay السفير الفرنسى فى بطرسبرج .

لاو Lowe, Cedric James محاضر فى التاريخ الدولى فى جامعة
لندن (L.S.E.)

لوملى Lumley السفير البريطانى فى روما .

لوناي Launay السفير الإيطالى فى برلين .

ليارد Layars السفير البريطانى فى القسطنطينية .

ليونز Lyons السفير البريطانى فى باريس .

مارشال Marschall وزير خارجية ألمانيا (١٨٩١ - ١٨٩٧)

مالت Malet السفير البريطانى فى برلين .

مانشيني Mancini وزير خارجية إيطاليا (١٨٨١ - ١٨٨٥)

هاتزفيلد Hatzfeldt السفير الألمانى فى لندن .

هربت Herbette السفير الفرنسى فى برلين .

هوايت William White السفير البريطانى فى القسطنطينية .

وادنجتون Waddington السفير الفرنسى فى لندن .

مراجع البحث

(أولاً) باللغات الأوروبية :

- BRUCE, MAURICE**, The Shaping of The Modern World. Vol. I. London 1959
- CRISPI, FRANCESCO** "Politica Estera" (1876—1890).
"Questioni Internazionali" Traduction
Fr. de Grandchamp. Tunis 1913.
- DOCUMENTS DIPLOMATIQUES FRANÇAIS** 1ère. S., T. VI.
- ENSOR, R.C.K.**, England 1870—1914. Oxford 1949.
- EUBANK, KEITH**, Paul Cambon - Master Diplomatist, Oklahoma, 1960.
- GERMAN DIPLOMATIC DOCUMENTS**, 1871—1914, Vol. II, selected and translated by F.T.S. Dugdale, London 1929.
- GREY OF FALLODON**, Twenty Five Years, Vol. I. London 1935.
- HERZFELD, HANS**, Die Moderne Welt, I. Teil, 1957.
- LOWE, G. J.**, Salisbury and the Mediterranean 1886-1896, London. 1965.
- MARDER, A.**, British Naval Policy 1880—1905, Mass. U.S.A. 1940.
- MEDLICOTT, W.N.**, The Congress of Berlin And After (1878-1880), 1938.
- TAYLOR, A. J. P.**, The Struggle For Mastery In Europe (1914-1918), Oxford 1954.
- WILSON, BECKLES**, L'Ambassade d'Angleterre A Paris (1814—1920), Paris 1921.

(ثانياً) باللغة العربية :

- حسن صبحي : التنافس الاستعماري الأوروبي في المغرب (١٨٨٤) -
١٩٠٤) دار المعارف : الاسكندرية ١٩٦٥ .
- محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الإنجليزي لمصر وموقف الدول الكبرى
ازاءه . القاهرة ١٩٥٢ .
- محمد مصطفى صفوت : إنجلترا وقناة السويس (١٩٥٤ - ١٩٥٦) .